فالمعنى : أرسلناك في حال أنك تشهد على الأمة بالتبليغ بحيث لا يعذر المخالفون عن شريعتك فيما خالفوا فيه وتشهد على الأمم وهذه الشهادة حاصلة في الدنيا وفي يوم القيامة فانتصب (شاهدا) على أنه حال وهو حال مقارنة ويترتب على التبليغ الذي سيشهد به أنه مبشر للمطيعين ونذير للعاصين على مراتب العصيان .

والكلام استئناف ابتدائي وتأكيده بحرف التأكيد للاهتمام .

وقوله (لتؤمنوا باﷲ ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) . قرأ الجمهور الأفعال الأربعة (لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه وتسبحوه) بالمثناة الفوقية في الأفعال الأربعة فيجوز أن تكون اللام في (لتؤمنوا) لام كي مفيدة للتعليل ومتعلقة بفعل (أرسلناك) .

والخطاب يجوز أن يكون للنبي صلى اﷲ عليه وسلم مع أمة الدعوة أي لتؤمن أنت والذين أرسلت إليهم شاهدا ومبشرا ونذيرا والمقصود الإيمان باﷲ . وأقحم (ورسوله) لأن الخطاب شامل للأمة وهم مأمورون بالإيمان برسول اﷲ صلى اﷲ عليه وسلم ولأن الرسول صلى اﷲ عليه وسلم مأمور بأن يؤمن بأنه رسول اﷲ ولذلك كان يقول في تشهده : " وأشهد أن محمدا عبده ورسوله " وقال يوم حنين : " أشهد أني عبد اﷲ ورسوله " . وصح أنه كان يتابع قول المؤذن " أشهد أن محمدا رسول اﷲ " .

ويجوز أن يكون الخطاب للناس خاصة ولا إشكال في عطف (ورسوله) .

ويجوز أن يكون الكلام قد انتهى عند قوله (ونذيرا) وتكون جملة (لتؤمنوا باﷲ) الخ جملة معترضة ويكون اللام في قوله (لتؤمنوا) لام الأمر وتكون الجملة استئنافا للأمر كما في قوله تعالى (آمنوا باﷲ ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) في سورة الحديد .

وقرأه ابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة فيها والضمائر عائدة إلى معلوم من السياق لأن الشهادة والتبشير والنذارة متعينة للتعلق بمقدر أي شاهدا على الناس ومبشرا ونذيرا لهم ليؤمنوا باﷲ الخ .

والتعزيز : النصر والتأييد وتعزيزهم اﷲ كقوله (إن تنصروا اﷲ) . والتوقير : التعظيم .

والتسبيح : الكلام الذي يدل على تنزيه اﷲ تعالى عن كل النقائص .

وضمائر الغيبة المنصوبة الثلاثة عائدة إلى اسم الجلالة لأن إفراد الضمائر مع كون المذكور قبلها اسمين دليل على أن المراد أحدهما . والقرينة على تعيين المراد ذكر (وتسبحوه) ولأن عطف (ورسوله) على لفظ الجلالة اعتداد بأن الإيمان بالرسول صلى اﷲ عليه وسلم إيمان

با فالمقصود هو الإيمان با . ومن أجل ذلك قال ابن عباس في بعض الروايات عنه : إن ضمير (تعزروه وتوقروه) عائد إلى (رسوله) .

والبكرة : أول النهار . والأصيل : آخره وهما كناية عن استيعاب الأوقات بالتسبيح والإكثار منه كما يقال : شرقا وغربا لاستيعاب الجهات .

وقيل التسبيح هنا : كناية عن الصلوات الواجبة والقول في (بكرة وأصيلا) هو هو .

وقد وقع في سورة الأحزاب نظير هذه الآية وهو قوله (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى ا بإذنه وسراجا منيرا) فزيد في صفات النبي صلى ا عليه وسلم هنالك (وداعيا إلى ا بإذنه وسراجا منيرا) ولم يذكر مثله في الآية هذه التي في سورة الفتح . ووجه ذلك أن هذه الآية التي في سورة الفتح وردت في سياق إبطال شك الذين شكوا في أمر الصلح والذين كذبوا بوعد الفتح والنصر والثناء على الذين اطمأنوا لذلك فاقتصر من أوصاف النبي صلى ا عليه وسلم على الوصف الأصلي وهو أنه شاهد على الفريقين وكونه مبشرا لأحد الفريقين ونذيرا للآخر بخلاف آية الأحزاب فإنها وردت في سياق تنزيه النبي صلى ا عليه وسلم عن مطاعن المنافقين والكافرين في تزوجه زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة بزعمهم أنها زوجة ابنه فناسب أن يزاد في صفاته ما فيه إشارة إلى التمحيص بين ما هو من صفات الكمال وما هو من الأوهام الناشئة عن مزاعم كاذبة مثل التبني فزيد كونه (داعيا إلى ا بإذنه) أي لا يتبع مزاعم الناس ورغباتهم وأنه سراج منير يهتدي به من همته في الاهتداء دون التقعير .

وقد تقدم في تفسير سورة الأحزاب حديث عبد ا بن عمرو بن العاص في صفة رسول ا صلى ا عليه وسلم في التوراة فارجه إليه .

A E